

وسمروا وزرعوا والشوك وعرقسوا النشاط الوطني واحكموا الخطة بين عبد الله والحسين وبين الصهيونيين في ١٩٢٣ - ١٩٢٤ وأيدوا الهجرة والانتداب في العشرينات ، والتقسيم في الثلاثينات ، ودعوا لوطن قومي يهودي في جزء من فلسطين ، وتسليم الجزء الاخر الى شرق الاردن ٠٠٠ الخ «(٩٨)» .

وفي الوقت الذي كان الامير عبد الله ، امير شرق الاردن ، يقيم حركة الجماهير الشرق اردنية التي كانت قد قررت بمبادرتها الذاتية ، منذ حزيران ١٩٢٦ ، في المؤتمر الشعبي الذي عقد برئاسة مختار الفائز في قرية ام المعد ، دعم ثورة فلسطين بالرجال والعناد ، كان البريطانيون قد قرروا اعتبار شرق الاردن ميدانا متصلا للقتال ضد الثوار الفلسطينيين في تحركاتهم . ولم يقتصر الدور الذي لعبه النظام الشرق اردني العميل على ذلك فحسب ، بل اغلق الطرق المؤدية الى العراق ليمنع وصول اي امداد ، واخذ يعرقل حركة القادة الفلسطينيين الذين اضطروا لزيادة حركتهم من شرق الاردن بعد بناء الاسلاك الحاجزة على حدود فلسطين الشمالية ، وتوج هذا النظام نشاطه المضاد حين التقى القبض على اثنين من القادة الفلسطينيين في ١٩٣٩ ، احدهما يوسف ابو درة ، وسلمهما الى البريطانيين حيث تم اعدامهما بعد ذلك بشهور قليلة ، كما سبق وذكرنا . في ذلك الوقت بالذات كانت قوات النظام اردني تتشبط جنبا الى جنب مع القوات البريطانية والمصائب الصهيونية في مطاردة الثوار ، ولا شك ان هذا الدور الذي لعبه نظام شرق الاردن قد شجع عناصر الثورة المضادة الداخلية على رفع مستوى اعمالها ، فقد اسهم عدد من قادة حزب الدفاع في انشاء ما أسبوه بـ « فرقة السلام » ، وهي قوات صغيرة مرتزقة « تكونت بالتعاون مع الانكليز وساهمت في مطاردة الثوار والاشتباك معهم ، وزحزحتهم عن بعض المواقع التي كانوا يسيطرون عليها ، وكان مخزي التشاشيبي ممن ساهموا في تكوين هذه الفرق ، وتسليحها ، وتوجيه نشاطها ... مما ادى الى مقتله بعد انتهاء الثورة بعدة اشهر «(٩٩)» وقبل ذلك كانت الحملة البريطانية الشرسة لنزع السلاح من جميع انحاء فلسطين قد اعتمدت على « تشجيع العناصر المادية للمفتي على تزويد (البريطانيين) بالمعلومات والتعريف عن اشخاص الثوار»(١٠٠) .

ولم يكن موقف العراق والسعودية ، آنذاك ، افضل كثيرا من موقف النظام الاردني ، وكانا يبديان منذ مؤتمر لندن استعدادهما « لاستخدام نفوذهما لدى زعماء فلسطين لوضع نهاية للثورة »(١٠١) ولكن ذلك كله لم يكن قادرا على ان يجعل من زعماء الثورة المضادة عملاء الانكليز قسوة لها وزنها الجماهيري ، وعلى العكس ، كان يعزز من قوة المفتي وزعامته ، ولكن تشجيع عناصر الثورة المضادة كان يهدف ، من جملة ما يهدف اليه ، ضبط المفتي وابعاده ضمن حظيرة يمكن السيطرة عليها في نهاية الامر ، فقد تصرف البريطانيون طوال الوقت وفق قناعتهم بأن التشاشيبي لا يستطيع ان يكون بديلا للمفتي . اما الهامش الصغير الذي استخدمته قيادة المفتي ، والناشيء عن المناقشات الجزئية التي كانت تائهة بين الاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان والاستعمار البريطاني ، فلم يكن ليستطيع ان يؤدي الى تغيير جذري في ميزان القوى ، وما لبث هذا الهامش ان خاق الى حد الاختناق عشية الحرب الثانية ؛

ان مجمل هذه الحقائق يشير الى ان الثورة الفلسطينية في ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ضربت على مفاصلها الثلاثة : الفصل الذاتي ، بمعنى عجز وتذبذب وضعف وذاتية وفوضى قيادتها المتخللة . والفصل العربي ، بمعنى تواطؤ الانظمة العربية على اجهاضها في وقت لم تتفاعل الحركة الوطنية العربية الشعبية (الضعيفة) مع الثورة الفلسطينية الا بصورة انتقائية وذاتية وهامشية . والفصل العالمي ، بمعنى الخلل الضخم في ميزان القوى الموضوعي ، والناشء عن تحالف مجموع المعسكر الاستعماري فيما بينه ، وكذلك فيما بينه وبين الحركة الصهيونية التي صارت تتمتع منذ ذلك الوقت بقوة محلية ضاربة لا يستهان بها عشية الحرب العالمية الثانية .

ان افضل تقدير للخسائر البشرية العربية في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ هو ذلك التقدير الذي يقول ان الخسائر في السنوات الاربع هذه قد بلغت ١٩٧٩٢ ما بين قتيل وجريح ، وهذا التقدير يتناول الاصابات التي اصاب بها العرب على ايدي المصائب الصهيونية في هذه الفترة . ويستند هذا التقدير على الاعترافات الاولية المتحفظة التي كانت تتضمنها التقارير الرسمية البريطانية مع امتحانها على صعيد